

سورة فاطر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا

تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ

الْغُرُورُ﴾

فاطر (5)

معاني الكلمات :

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} بالبعث والجزاء على الأعمال،

{حَقٌّ} أي: لا شك فيه، ولا مرية، ولا تردد

{فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية،

فتلهيكم عما خلقتكم له

{وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} أي ولا يغرنكم بالله أي في حلمه

وإمهاله الغرور أي الشيطان.

المعنى الإجمالي

قوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أي يا أهل مكة وكل مغرور من الناس بالحياة الدنيا اعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا بطول أعماركم وصحة أبدانكم وسعة أرزاقكم، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة {وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ} أي حلمه وإمهاله {الْغُرُورُ} وهو الشيطان حيث يتخذ من حلم الله تعالى عليكم وإمهاله لكم طريقاً إلى إغوائكم وإفسادكم بما يحملكم عليه من تأخير التوبة والإصرار على المعاصي، والاستمرار عليها. وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أي المعاد كائن لا محالة،

(فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلَّهُوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، (وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وهو الشيطان. قاله ابن عباس. أي لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرَّار كذاب أفك. وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان (فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (لقمان 33). قال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان. كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب (بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَاطِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد 14، 13). قال سعيد بن جبیر: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول: يا ليتني قدمت لحياتي والمعنى لا تخدعنكم الدنيا، ولا يذهلنكم التمتع بها، والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة، وطلب ما عند الله تعالى.

وعد الله تعالى :

1- وعده حق، الله سبحانه وتعالى وعده المُرابي بالحق، وبالدمار، قال تعالى: ﴿يَحَقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة.

2- وعد المؤمن بحياة طيبة، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (97) النحل

3- وعد المعرض بالمعيشة الضنك، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)﴾

4- في القرآن وعد ووعد، وعد بالخير لمن استقام على أمره، ووعد بالسوء لمن حاد عن منهجه، والوعد والوعد لاشك محققان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فاطر.

خطر الاغترار بالدنيا

وقد يغتر الإنسان بالدنيا، فبرأها بحجم أكبر من حجمها، فإذا جاء الوقت المعلوم، وجاءت الساعة تعود الدنيا إلى حجمها، عندئذ يقول: يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي، يا ليتني لم أُنَّخذ فالاناً خليلاً، عندئذ تقع الندامة، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (56)﴾

[سورة الزمر]

هذه الحالات ؛ حالات الندم الشديد تُصيب الإنسان حين يُشارك الدار الآخرة، وحينما يُكشف له الغطاء، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

خَدِيدٌ (22)﴾ [سورة ق]

ما المراد بحب الدنيا ؟

1- المراد بحب الدنيا المذموم أن يرضى بالحياة الدنيا ويستحبها على الآخرة، فلا يسعى ولا يعمل لما بعد الموت، فيتعلق القلب بالدنيا ويمتاعها وشهواتها.

2- المقصود بحب الدنيا الحب الذي يدفع صاحب الدنيا إلى فعل المحظورات والمنهيات، وترك القربات والطاعات، وفعل الصالحات، فالمذموم أن تكون الدنيا بالقلب لا باليد.

3- المقصود بحب الدنيا أن تكون الدنيا مالكة له ومتصرفه فيه، لا هو مالك الدنيا ومتصرف فيها.

4- التعلق المذموم بالدنيا وغلبت حب القلب لها، وتفضيلها على الآخرة التي هي خير وأبقى، وهو الخطر الذي يعيق المسلم عن التقرب إلى الله تعالى بما يحب ويرضى من الأعمال الصالحات.

إِنْ وَعَدَ اللَّهُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (252)



قَوْلَاتُهَا مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ فَاطِمَةَ الْإِيْمَةِ 5

تهدى ولا تباع

ولا تسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

11- الشيطان يقول لك: غَدًا يُشْفَعُ لنا عند النبي عليه الصلاة والسلام، شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام حق، ولكنها لَيْسَتْ بهذا المفهوم الساذج الذي يفهمه العصاة، يا فاطمة بنت محمد، ويا عباس عم رسول الله؛ أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أُغني عنكما من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأنسابكم، من يبطئ به عمله لم يُسرعه به نسبه.

12- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطئنا غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان.

13- تدبر هذا النداء العام، الذي نادى فيه ربنا جل وعلا البشر كلهم، يدعوهم عز وجل فيه وينصح لهم بأن يتقوه، بالإيمان به وعبادته وحده لا شريك له، وأن يخشوا يوماً عظيماً فيه من الأهوال والعظائم ما لا يُقدَّر ولا يوصف، فتهتز لها القلوب، وترتجف لها الأبدان، ويشيب لها الولدان. فعلياً أن نتذكر هذا اليوم وما فيه، وأن نؤمن بذلك وأن نصدقه، حتى نحصل تقوى الله عز وجل.

14- الدنيا بما فيها من المتاع والشهوات تعيق الإنسان المسلم عن السير إلى جنات ربه، وعن كل عمل صالح يقرب منها، والمذموم في ذلك هو متاع الدنيا وشهواتها المحرمة، وليس المقصود ذات الدنيا فهي دار لعمل الخير كما هي دار لعمل الشر، كما اقتضت حكمة الله ذلك.

15- المراد بحب الدنيا هو التعلق بها وشهواتها وما فيها من المتاع، وتفضيلها على الآخرة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَأَلَّا بَلَّ تُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: 20]. وهذا الحب يغمر القلب فلا يوجد فيه مكان للآخرة أو يقل فيه مكان الآخرة.

16- حب الدنيا والاشتغال بما يصرفه عن التوبة والعودة إلى الله تعالى بسبب ما فيها من الأهواء والشهوات ومضلات الفتن . والله اعلم .. صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق.
- 2- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق سلامة البدن.
- 3- التحذير من الشيطان ووجوب الاعتراف بعداوته، ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقبيح والشر.
- 4- الغرور: الذي يغر بما يزينه لغبه وما فيه من زينة تأخذ اللب فيغتر وينخدع. وأكثر المفسرين على أن الكلمة تعني «الشيطان»
- 5- الموت عاقبة كل حي، وختام كل شيء، ونهاية كل موجود - سوى الرب المعبود .
- 6- الموت حق، والبرزخ حق والنشور حق، والبعث حق، والوقوف بين يدي الله يوم القيامة حق والجنة حق، والنار حق
- 7- من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشئت عليه شمله، ولم يؤت من الدنيا إلا ما قُدِّر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة.
- 8- لا ينزل إلى القبر إلا عملك، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، إِنَّ أَكْيَسَكُمْ أَكْثَرَكُمْ للموت ذكراً، وأحزَمَكُمْ أشدكم استعداداً له، ألا وإن من علامات العقل النجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد بسُكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.
- 9- الشيطان يقول لك: الأمد إلى الآخرة طويل، أين أنت ؟ لازلت شاباً، يغرك بالدنيا، مع أن الدنيا تغرّ، وتضرّ، وتمرّ.
- 10- الدنيا ملعونة: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ألا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم». حسنه الالباني في الجامع الصغير